

الخلفيات النظرية للاستراتيجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة

قراءة في أطروحة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما

Theoretical backgrounds of American strategy after the end of the Cold War

A reading of the thesis "The End of History"

By Francis Fukuyama

غنية أفنوخ

جامعة الجزائر3، (الجزائر)، gh.afnoukh@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025/06/30

تاريخ قبول النشر: 2025/05/17

تاريخ الإستلام: 2025/02/17

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن الخلفيات الفكرية والأسس النظرية للاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب الباردة والتي استمدتها من المدرسة التي يمثلها فرانسيس فوكوياما، والتي كانت أول من قامت بتحديد التوجهات الخارجية الأمريكية في ظل التحولات الدولية.

لما تزامنت نهاية الصراع الإيديولوجي مع نهاية القرن، انتشر "خطاب النهايات" مثل نهاية التاريخ، نهاية الجغرافيا، نهاية الدولة، نهاية السيادة، نهاية الإيديولوجيا، نشطت خلالها مراكز التفكير الأمريكية لمحاولة إيجاد الرؤية المناسبة لتوضيح هذا "النظام العالمي الجديد". واعتمادا على المنظور الواقعي في تحليل العلاقات الدولية، خلصت الدراسة إلى أن أطروحة نهاية التاريخ لـ "فوكوياما" كانت إعلانا عن انتصار النموذج الغربي الليبرالي الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية.

الكلمات مفتاحية: الاستراتيجية الأمريكية؛ نهاية التاريخ؛ فرانسيس فوكوياما؛ الفكر الاستراتيجي؛ القوة الأمريكية.

Abstract:

This study aims to search for the intellectual backgrounds and theoretical bases of American strategy after the Cold War, which it derived from the school represented by Francis Fukuyama, which was the first to define American foreign orientations in light of international transformations.

When the end of the ideological conflict coincided with the end of the century, the "discourse of endings" spread, such as the end of history, the end of geography, the end of the state, the end of sovereignty, and the end of ideology, during which American think tanks became active in trying to find the appropriate vision to clarify this "new world order."

Based on the realistic perspective in analyzing international relations, the study concluded that the Fukuyama's end of history thesis was an announcement of the victory of the Western liberal model represented by the United States of America.

Keywords: American strategy; The End of History; Francis Fukuyama; Strategic though; American power.

1. مقدمة:

كانت الدول ولا تزال تسعى من أجل الحفاظ على مصالحها العليا وذلك من خلال استخدام عناصر قوتها كأدوات أساسية لتحقيق غاياتها الأساسية ويتم ذلك من خلال تبني استراتيجية شاملة يتحدد بواسطتها أسلوب الاستفادة من هذه الأدوات بغرض تحقيق تلك الغايات المنشودة.

في هذا الإطار، ومنذ بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى لها ثقلها في البيئة الدولية، عملت دوائر التفكير الاستراتيجي الأمريكية جاهدة من أجل تحقيق المصلحة القومية الأمريكية التي تترجم في أهداف ثابتة بثبات تلك المصلحة ومتغيرة بتغير وتعاقب المستجدات الدولية، بحكم أنّ السياسة الخارجية ما هي إلا انعكاس للمعطيات الداخلية والتحوليات الإقليمية والرهانات العالمية.

كما أنه مع الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه اختفاء المعسكر الشيوعي، وجدت الولايات المتحدة نفسها في عالم بلا معالم واضحة وبدون "عدو" محدد، مما دفع الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى البحث عن دور للولايات المتحدة في "عالم ما بعد الحرب الباردة" وصياغة استراتيجية تتلاءم والاتجاهات العالمية وتواكب التغيرات الكونية، كما أعادت ترتيب جديد لأولوياتها وفق ما يتماشى وتصورها ويتوافق وأهدافها الشاملة.

في هذا السياق التاريخي بالذات، جاءت مقولة نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما باعتبارها إحدى النماذج النظرية الرئيسية الجديدة لتشخيص الواقع الدولي الجديد والتي حكمت العقل السياسي الأمريكي ورسمت الاستراتيجية الأمريكية بعد انتهاء الصراع شرق-غرب بغرض تكريس هيمنة القوة الأمريكية والحفاظ على تفوقها العالمي.

إشكالية الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى اختبار الإشكالية المحورية التالية:

*كيف أثرت أطروحة نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما على التفكير الاستراتيجي الأمريكي لفترة ما بعد الحرب الباردة؟

فرضيات الدراسة: وللإجابة على الإشكالية المطروحة، تم اعتماد فرضيتان رئيسيتان كما يلي:

*تعد أطروحة "نهاية التاريخ" لفرنسيس فوكوياما من أبرز المحاولات النظرية التفسيرية لعالم ما بعد الحرب الباردة والمرجعية الفكرية المدعمة للأحادية القطبية.

*تستهدف دوائر التفكير الاستراتيجي الأمريكي تكريس الفكر الليبرالي الغربي وتوسيع الهيمنة الأمريكية في العالم.

المقاربة المنهجية:

إن تحديد منهج البحث يتوقف على طبيعة الموضوع في حد ذاته، كما يتوقف على الهدف الذي تصبو الدراسة الوصول إليه. وعليه، فإنه لمقاربة الموضوع، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لفهم المنطلقات الفكرية للتفكير الاستراتيجي الأمريكي عامة والمرجعيات الفلسفية لمقولة فوكوياما بشكل خاص من جهة، ولرصد مختلف التحولات التي شهدتها البيئة الدولية بعد نهاية الحرب الباردة من جهة أخرى.

وباعتبار أن المنظور الواقعي يتحكم في السلوك الخارجي الأمريكي ويقوم عليه تفكيرها الاستراتيجي بغية تحقيق المصلحة القومية للولايات المتحدة، فإن استخدام النظرية الواقعية (الكلاسيكية والجديدة) أقرب وأكثر توافقاً وهذه الدراسة لما تمتلكه من قدرة على توصيف الواقع الدولي ومن قدرة على تقديم التفسيرات الأكثر تماسكاً له، والأكثر استيعاباً للمتغيرات الحاصلة.

عناصر الدراسة:

لمعالجة الموضوع الخاص بمنظور فوكوياما للاستراتيجية الأمريكية بعد تفكك الكتلة الاشتراكية وانتهاء الصراع الإيديولوجي بين القطبين، تم تقسيم هذه الدراسة إلى محورين الرئيسيين التاليين:

2. أطروحة "نهاية التاريخ": دراسة في الأصول التاريخية والفلسفية

1.2 المرجعية التاريخية لأطروحة "نهاية التاريخ":

تقتضي الضرورة المنهجية أن يتعرض هذا المحور للأصول التاريخية لأطروحة "نهاية التاريخ" بغية فهم الخلفيات الكامنة خلف صياغتها في تلك الحقبة بالذات، واستنباط الأهداف التي يصبو فوكوياما خاصة والإدارة الأمريكية عامة إلى تحقيقها.

لا تعتبر فكرة "نهاية التاريخ" فكرة حديثة بل قديمة قدم التفكير الإنساني وتضرب بجذورها في مختلف العصور؛ إذ يوضح لنا التاريخ أنّ الحضارات الكبرى حين تصل إلى أوجها وتبلغ قوتها إلى الذروة والقمة عبر انتشارها الواسع عبر فضاءات ثقافية متعددة ومساحات جغرافية شاسعة فإنها تزعم وصولها إلى العالمية، وهذا ما يجعلها تعتقد بأنها قد وصلت إلى المحطة النهائية لتطور الإنسانية وأصبحت مركز العالم وبالتالي فإنها تمكنت بذلك من تجسيد "نهاية التاريخ".

حاول فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama)¹ من خلال مقالته الصادرة بالمجلة الأمريكية "ناشيونال إنترست" (National Interest) سنة 1989 والتي تحولت إلى كتاب بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" عام 1992 صياغة فرضياته لإعطاء أطروحته المستوحاة من الفكر الليبرالي الصبغة البراغمية في تفسيرها للبيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة، وبعد مرور عقد من الزمن من أطروحته، يعود مجدداً فوكوياما من خلال مقال موسوم بـ "عشر سنين على نهاية التاريخ" نشره عام 1999 ليؤكد مرة أخرى على أن الأحداث الحاصلة في البيئة السياسية والاقتصادية الدولية إنما تأتي تكريساً لصحة نظرياته حول الإنسان الأسمى وخاتم البشر وإقراراً بانتصار مبادئ الديمقراطية الليبرالية على غيرها من المبادئ. فلن نجد في المستقبل أيديولوجية بإمكانها إعادة فرض ذاتها تطمع في أن تشكل الند أو الأطروحة النقيض لتتحدى الأيديولوجية الليبرالية الغربية.

مع الإشارة إلى أن هذه المقولة قدّمت أساساً فكرياً للعمولة² التي تُعدّ نظاماً كونياً قائماً على اختزال الحواجز الجغرافية والتحرير المتزايد للأسواق وتكثيف المبادلات الاقتصادية والتجارية والخدماتية وعلى اختراق الحدود الثقافية للدول، وهذا ما جعلها تتميز بالسعي لتنميط العالم وفق نظام اقتصادي كوني جديد ومنظومة قيمية كونية جديدة.

لا بد من التنويه أيضا إلى أن فوكوياما ينطلق من جملة من الاعتقادات الراسخة كاعتقاده أنّ العولمة والتطورات التكنولوجية المتسارعة ستحدث تغييرات في الطبيعة الإنسانية وتؤدي إلى زوال وتلاشي السمات الحضارية السياسية والرمزية للإنسان. كما أشار كذلك إلى أن انخيار الاتحاد السوفياتي سابقا آخر مرحلة من مراحل تطور تاريخ البشر، وأن سقوط جدار برلين يشكل منعرجا تاريخيا هاما باعتباره انتصارا للديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق وهو قمة الرأسمالية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية³.

من المفيد لفت الانتباه إلى أن خطابا تبشيريا جديدا جاء مصاحبا لهذا المسار الكوكبي المتنامي ومُنظرا لمبادئه ومكرسا لغاياته وهو " خطاب النهايات " ⁴ بأشكالها المتعددة كنهاية الحدود الجغرافية ونهاية الدولة القومية وانحسار سيادتها، والذي ينطلق من التحولات التي شهدتها العقد الأخير من القرن العشرين المتمثلة في انخيار المعسكر الشرقي وتصدر المعسكر الغربي الرأسمالي المشهد العالمي الذي يعكس الكثير من دعائم ومقومات الهيمنة المادية والرمزية ويؤسس لـ " نظام عالمي جديد " ، نظام لا بد أن تكون القيادة فيه للقوى العظمى أي القطب الصناعي الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية⁵.

وبالتالي، " فخطاب النهاية " هو خطاب يدعو إلى سيادة وهيمنة القيم والمبادئ الغربية ويمجد انتصار الغرب على باقي دول العالم التي عليها أن تسرع لتلتحق بركب التاريخ. كما أن كتاب فوكوياما في تسعينات القرن الماضي محاولة لإثبات التفوق النهائي للنموذج الفكري الغربي الذي يمثل نهاية التطور الإيديولوجي للبشرية وبداية عولمة الليبرالية كشكل نهائي للحكومة الإنسانية.

بالإضافة إلى أنّ الانتشار الواسع لنمط الحياة الغربية عند نهاية القرن العشرين واكتساب الغرب لكل وسائل النفوذ والسيطرة المادية والمعنوية سيجعل منه " روما القرن الحادي والعشرين " والتي ستكتسح بمبادئها وقيمها كل بقاع العالم لأنّ القيم الغربية الليبرالية العالمية ستطغى وتهيمن ويصبح من واجب الدول الأخرى أن تحذو حذو هذا النموذج المخلص⁶.

لكن على الرغم من أن المسار التطوري للتاريخ نحو تجسيد أنظمة ديمقراطية ذات اقتصاد ليبرالي سيكون له نتائج بارزة على تطور العلاقات الدولية، مع ذلك فإنّ العالم سيعرف انقساما بين دول الشمال التي تجاوزت سقف التاريخ " ودول الجنوب التي مازالت " تتصارع وتتصادم مع التاريخ ". مع العلم أن المعطيات العسكرية ستفقد أثرها وأهميتها في " عالم ما بعد التاريخ " وسيكون التفاعل بين " الدول ما بعد التاريخية " أساسا ذو أبعاد اقتصادية حيث يحفز تكثيف النشاط الاقتصادي على توحيد الأسواق والإنتاج وتعميق مسار العولمة الاقتصادية مما سيؤدي إلى تلاشي المفهوم التقليدي لسيادة الدولة والتطلع إلى قيام أقطاب تجارية كبرى من خلال تشجيع إنشاء التجمعات الإقليمية الجديدة وتكثيف المبادلات بينها.

أما في "العالم التاريخي" ستستمر سياسات القوة في لعب دور أساسي في التفاعلات القائمة بين الدول التاريخية التي تشهد صراعات دينية وعرقية وإثنية وستبقى فيها الدولة القومية الوحدة الأساسية للانتماء السياسي والعمل الاقتصادي.

مع التنبيه إلى أن العالم التاريخي والعالم ما بعد التاريخي سيعرفان تفاعلات وعلاقات محدودة تدور حول محاور أساسية للتصادم يمكن حصرها في نقاط ثلاثة هي:⁷

أ- **البيترو:** الذي يتم إنتاجه في العالم التاريخي ويشكل مادة حيوية وضرورية للدول المتقدمة؛
ب- **الهجرة:** التي تشهد تدفقات مكثفة للمهاجرين القادمين من الدول الفقيرة أو غير المستقرة نحو دول الشمال الصناعية والغنية؛

ج- **انتشار التكنولوجيا العسكرية:** خاصة الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية التي تملكها عدة دول في الجنوب وتشكل تهديدات على الدول الغربية المتقدمة.

تأسيسا على ذلك، شكلت مقولة "نهاية التاريخ" لفوكوياما إعلانا واضحا وتعبيرا صريحا عن انتصار النموذج الغربي الليبرالي الذي تمثله القوة الأمريكية التي لا تضاهيها قوة،⁸ فهي وحدها من تتمتع بمقومات وأدوات القيادة الأخلاقية للعالم التي تحلت بها منذ إدارة وودرو ويلسون؛ الذي سعى مع مطلع القرن العشرين إلى جعل "العالم مكانا آمنا للديمقراطية"⁹ لأن المحرك الرئيسي للتاريخ حسب وجهة نظر فوكوياما هو السعي إلى تحقيق التطور الذي يتجسد في ترسيخ قيم الديمقراطية والحرية واقتصاد السوق.

2.2 التأصيل الفلسفي لمقولة فرانسيس فوكوياما:

إن الكشف عن أصل الأفكار السياسية المتولدة في التاريخ في علاقتها بزمانها والأزمة الغابرة واللاحقة والبحث عن جوهرها وفهم حقيقتها وتطورها يعتبر ضرورة ملحة، لأن ثمة إطار فلسفي تنطلق منه هذه الأفكار وتحدد في ضوئه طبيعتها وغاياتها وهو يعكس الخلفيات الإيديولوجية والأصول الفلسفية الكامنة ورائها.¹⁰ في هذا الإطار اعتبرت رغبة نيل الاعتراف عند فوكوياما¹¹ كأصل ومنطلق لجميع الصراعات التي عرفت المجتمعات عبر تاريخها الطويل، فهي قديمة قدم تاريخ الفلسفة السياسية الغربية والمتمثلة في الاعتراف بتفوق النمط الغربي والالتحاق بنظامه العالمي والخضوع لقواعده والعمل بآلياته.

بمقولة "نهاية التاريخ" عمد الغرب إلى التاريخ لنهاية الحرب الباردة وفيها أعاد فوكوياما إحياء الخلفيات الإغريقية والرومانية للغرب ثم طرح على طريقة هيجل¹² صاحب فكرة "نهاية التاريخ" التي أعلنها عام 1806، اعتقاده العميق بأن الليبرالية الغربية قد كسبت المعركة التي تقودها ضد منافسيها.

وعليه، فخطاب فوكوياما يجد تأصيله النظري في الفلسفة الهيجلية¹³ التي تنظر إلى العلاقة بين الحقب التاريخية المختلفة من منظور الصراع وأنّ الغرب يشكل نهاية للتاريخ بعدما كانت آسيا بدايته. وهذا ما يكرس تفوق

الغرب عرقيا ودينيا وثقافيا ويساهم في التأكيد على هيمنته وبقائه في القمة للأبد لأنّ تاريخ العالم نوع من المحاكاة لحركة الشمس بدأ من الشرق وينتهي بالغرب.

ثم واصل كارل ماركس على نفس منوال وطريقة تفكير هيجل في اعتباره أن المجتمعات البشرية تنمو من مجتمعات بدائية غير مفيدة إلى مجتمعات بورجوازية، لكن على أن تكون نهاية التاريخ في نظره للأتمودج الشيوعي البيوتوي، لذا فإن نهاية التاريخ عند فوكوياما وتوقف تطوره إنما يكون عند التوصل إلى الأتمودج النهائي الأمثل وتكريس " المركزية الغربية " أي محاولة إلغاء "الآخر" الذي يتوجب عليه الاعتراف بسيطرة النظام الرأسمالي الجديد.¹⁴

إنّ المرتكزات الفلسفية التي قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة تعمل أساسا على تمجيد النزعة الفردية والمادية¹⁵ وتغليب لمنطق القوة على الفكر والسلوك الاجتماعي الغربي باعتبارها قوانين طبيعية لا يمكن إحداث أي تغيير عليها.¹⁶ من هذا المنطلق، أخذت الحضارة الغربية تنظر إلى الحضارات الأخرى من منظور نزاعي وعدواني وتفرض أنموذجها الثقافي والحضاري على "الآخر" سعياً منها إلى استئصاله من جذوره، وهذا تعبير عن مركزية دفيئة تقوم على عنصرية عرقية وعلى الرغبة في السيطرة.¹⁷

وعند استعراض لأهم المراحل التي عرفت كراهية ورفض الغرب للآخر سيتجلى المشهد أكثر؛ فبعد معاداة الغرب للمسيحية في عهودها الأولى في عصر الإمبراطورية الرومانية الوثنية ثمّ معاداته بعد اعتناقه الديانة المسيحية، للمذاهب المسيحية الأخرى ونشوب الحروب الدينية الدامية بين الكاثوليك والبروتستانت، تواصلت نزعة التمرکز حول الذات لدى الغرب فتمثلت في صدامه في مرحلة الحروب الصليبية مع الحضارة الإسلامية ومع غيرها من الحضارات غير الأوروبية خلال العهد الاستعماري من خلال نهب ثروات الشعوب المضطهدة واستغلال مواردها واختراق ثقافتها والقضاء على خصوصياتها القومية وطمس موروثاتها الحضارية.

استخدم الغرب كذلك الحملات التنصيرية كغطاء لسياساته الاستعمارية، ويرفعه شعارات مثالية مثل مسؤوليته عن النهوض بالشعوب المتخلفة فادّعى أن هذه الحروب وسيلة فعالة لإدخال المجتمعات المتخلفة في التاريخ ولنقل الحياة المدنية إليها بل وتحريرها من الرجعية وتمكينها من دخول الحضارة والإسهام فيها. لكن الحقيقة التي طالما حاول الغرب إخفائها في نطاق ما أسماه " دوره التاريخي ورسالته الحضارية في المجتمع الدولي "، هي أن دوافعه في هذه الحروب والحملات التبشيرية وأهدافه المحورية تكمن في فرض عقائده الدينية ومحاولة إلغاء "الآخر" عرقيا ودينيا وحضاريا.

بهذا الشكل، أقامت الحضارة الغربية قواعد تفوقها وهيمنتها أثناء الفترة الذهبية لحملاتها الاستعمارية بالارتكاز على مبادئ ومقولات "داروين"¹⁸ حيث شرعت خلالها في نهب ثروات الدول المستعمرة مما جعل اقتصادها يتنامى ويزدهر ليصبح اقتصادا عالميا من خلال تشكيل شبكة هامة وواسعة من المبادلات الدولية القائمة على إدماج

باقي قارات العالم بالقوة مما نتج عن هذه السيطرة التي فرضتها على العالم التكنولوجية الغربية التي تتباهى بها اليوم الأمم المتقدمة.

وإذا كانت نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قد عرفت هيمنة النظام الرأسمالي الغربي وإحكام لسيطرته الاستعمارية على أغلبية دول العالم¹⁹ فإنّ الانقسام الإيديولوجي والصراع بين الليبرالية والشيوعية ومحاوله استقطاب الجنوب في مرحلة الحرب الباردة وحصول الشعوب المستعمرة على استقلالها مع الاعتراف بحقها في تقرير مصيرها، قد استنفذ بشكل معتبر القدرات الصراعية للغرب.

لكن انتهاء الحرب الباردة بتفكك الكتلة الاشتراكية، أعاد فرض الغرب بقيادة الولايات المتحدة لهيمنته من جديد على بقية الحضارات الأخرى من خلال سياسات العولمة التي تجعل من الحضارة الغربية وحدها الحضارة الإنسانية والنموذج الوحيد للتمدن والتحضر²⁰، فهي الوعاء الذي تصبّ فيها الحضارات الأخرى كلها لكي تتشكل على صورته وتأخذ من سماته.

إن العالم في جوهر التفكير الفلسفي الغربي لا ينبغي إلا أن يكون مركزاً ومحيطاً مع ضرورة شمول الطرف الأول للطرف الثاني وهذا هو المنطق الذي يحكم علاقة الغرب "بالآخر"²¹ لأنّه "الآخر" النذبل الآخر الأدنى الجامد والمتخلف²². فلا مكان ولا أهمية "للآخر" في التفكير الغربي لأنّ غاية الكمال ومنتهاه أن يكون "الآخر" غريباً لا غير.

3. فوكوياما ورسم الاستراتيجية الأمريكية العالمية

3.1 الاستراتيجية الأمريكية العالمية: المبادئ والأبعاد

شرعت الولايات المتحدة منذ نهاية القرن التاسع عشر في إرساء دعائم النموذج الأمريكي العالمي، فاتبعت سياسة توسعية خارج حدودها، حيث يعتبر جون ميرشايمر (John Mearsheimer) بأن "الولايات المتحدة كونها أفضل أنموذج للواقعية الهجومية، تكونت في الأساس بفعل الغزو والسيطرة على الأراضي، فامتدت من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادي وحققّت بذلك هيمنتها في نصف الكرة الغربية"²³.

من ناحية أخرى، ونظراً لقيام المجتمع الأمريكي دائماً على فكرة التهديد الخارجي لتأكيد ذاته وهويته، يكمن الدافع وراء هذا السلوك الهجومي في أنه ثمة أخطار وتحديات لا بد من مواجهتها، وما دام التهديد قائماً، فإن الحرب أو المواجهة تقتضي تفعيل نشاط المجمع الصناعي العسكري الذي سينعش بدوره الاقتصاد الأمريكي، لأنه بدون وجود اقتصاد قوي على المستوى العالمي، وقادر على توفير الرخاء للأمريكيين على المستوى الداخلي فإن قدرة الولايات المتحدة على قيادة العالم ستتراجع. فحسب فوكوياما بنهاية حرب الأفكار ستتركز الصراعات بشكل كبير وإن وجدت حول المشكلات الاقتصادية والتكنولوجية .

من هذا المنطلق، شكّلت "نهاية التاريخ" بانتصار الليبرالية الاقتصادية والسياسية وهيمنة الحضارة الغربية على العالم، فرصة لانفتاح المجال واسعاً أمام النظام الرأسمالي وعلى رأسه القوة الأمريكية لغزو الأسواق وتفكيك الدول

القومية وتغيير قيم الشعوب وطمس هوياتها لتحل محلها قيم السوق. وهذا ما ترجمته على أرض الواقع استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة لعام 2002 وفي المقدمة التي كتبها الرئيس بوش الابن حينما ضمّنها فكرة نهاية التاريخ لفوكوياما إذ صرّح قائلاً: "إنّ المعارك الكبرى التي دارت في القرن العشرين بين الحرية والشمولية انتهت بنصر حاسم لقوى الحرية والديمقراطية والمشروع الحرّ. وإن القرن الحادي والعشرين لن يتاح إلا للأمم التي تشارك في حماية حقوق الإنسان وضمان الحرية السياسية والاقتصادية ضمان رخاءها في المستقبل".

لا يختلف اثنان على أن الغاية الرئيسية التي رسمتها السياسة الخارجية الأمريكية منذ أن جسدت قيادتها للعالم الرأسمالي الغربي كأكبر قوة سياسية وعسكرية واقتصادية ومالية، تتمثل في تثبيت موقعها باعتبارها القوة العظمى الوحيدة في هذا العالم، وبقيت هذه الغاية راسخة في المدركات الأمنية والعسكرية لصناع القرار السياسي والاستراتيجي الأمريكي في فترة ما بعد الحرب الباردة، وترجمت على أرض الواقع في هندسة نظام عالمي جديد يعكس نفوذها على الساحة الدولية. وساهم تنامي مسار العولمة بصيغتها الرأسمالية المتوحشة ببروز عالم بدون حدود، عالم يتجاوز الدولة وينقل السيادة الوطنية من طابعها المطلق إلى طابعها النسبي.

لذا منذ نهاية الحرب الباردة، عاشت الولايات المتحدة على هاجس البحث عن مرجعيات فكرية جديدة لتفكيرها الاستراتيجي وذلك نظراً إلى صعوبة صياغة دور استراتيجي أمريكي جديد في عالم بدون معالم ثابتة ولا عدو، هذا ما دفع الإدارات الأمريكية المتعاقبة بعد الحرب الباردة إلى العمل على صناعة هذا العدو لافتقادها لرؤية استراتيجية واضحة لحماية المصالح الحيوية الأمريكية عبر العالم.

حين أدرك فوكوياما عمق هذه الأزمة التي تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية بتعدد أبعادها الاقتصادية والعسكرية والثقافية وما تشهده من تفكك داخلي، وأدرك انتقال مركز الثقل في العلاقات الدولية إلى مركز جديد لا يستهان بقوته، قام في كتابه "النظام السياسي والتآكل السياسي: من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية"، بإعطاء الصراع بعداً جديداً بخلقه عدواً جديداً متمثلاً في الصين الكونفوشيوسية، يظهر كتهديد جديد نظراً لقوتها الاقتصادية، ولبعدها ومعارضتها للنموذج الديمقراطي الغربي.

تعد الرهانات الجيوسياسية المتمثلة في السيطرة على المناطق الجغرافية التي تحظى بأهمية استراتيجية وجيو اقتصادية الدافع الحقيقي للنزعة الأمريكية لتحقيق الصدارة ولصياغة استراتيجيات المهيمنة العالمية، وتعود خلفياتها التاريخية والفكرية إلى الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية. في هذا السياق، انصبت الاستراتيجية الأمريكية الجديدة عموماً على ضمان التفوق الأمريكي ومنع بروز أي قوة منافسة أو ظهور أقطاب أو تحالفات لقوى تكون منافسة للقوة الأمريكية. وبحكم ديناميكية التطور السريع والثقل الاقتصادي والسكاني والعسكري لقارة آسيا على الساحة العالمية، سعت الولايات المتحدة إلى بناء ترتيبات استراتيجية جديدة تفضي إلى تعددية قطبية أو إلى نظام أحادي-متعدد الأطراف كما يسميه صامويل هانتجنتون والذي سيحول دون تهديد المصالح الحيوية الأمريكية عبر

العالم، لأنه نظام يضم قوة عظمى تمتلك كل مقومات الهيمنة العالمية وتسعى لتحقيق مصالحها من خلال العمل على التحكم في نمو القوى الصاعدة أو الكبرى المنافسة لها.

من ناحية أخرى، يمكن تحديد المنطلقات الأساسية للتفكير الاستراتيجي الأمريكي استناداً إلى عقيدة المحافظين الجدد، المتمثلة في الإيمان بأن على الولايات المتحدة ملأ الفراغ الذي خلفه سقوط المعسكر الاشتراكي وإعادة صياغة النظام العالمي الجديد من خلال الدور الحتمي الذي يجب أن تضطلع به. إذ يعتبر هؤلاء أن العالم يسعى جاهداً للبحث عن قائد وأنه على الغرب وغيره من دول العالم أن يتوحد تحت القيادة الأمريكية لأن سيطرة أمريكا وسيادتها المطلقة على العالم هي مصدر الاستقرار والأمن الدوليين.

وإذا كان فوكوياما واحداً من منظري المحافظين الجدد الذين أسسوا مركزاً للبحوث عُرف " بمشروع القرن الأمريكي " يطالبون فيه الرؤساء الأمريكيين (الرئيس كلينتون ثم الرئيس بوش الابن) بعد هجمات الحادي عشر سبتمبر بضرورة التخلص من الأنظمة الاستبدادية بالقوة، لكنه تراجع عن ذلك وأصبح ينتقد النظرية الواقعية للعلاقات الدولية التي تتحكم في دواليب السياسة الخارجية الأمريكية والتي تحتل سلوكيات الدول في القوة والمصلحة، إذ أنه أصبح يدافع عن " رؤية ويلسونية جديدة " للعلاقات الدولية أساسها أن الدول الديمقراطية لا تخوض الحروب ضد بعضها البعض ، كما أن القيم الغربية قيم ذات بعد عالمي لذا ستعرف انتشاراً كبيراً في العالم.

اعتبر فوكوياما كذلك أنه ليس هناك صدام بين الحضارات باعتبار أن الفضاءات الثقافية غير متكافئة فيما بينها، بينما سرعة وتيرة العولمة أنتجت ردود فعل حضارية وهوياتية يقودها أولئك الذين يعتبرون أنفسهم مهددون من طرف تيارات الحداثة، فهي مجرد شكل من أشكال التصدي والتخوف من الصدمات والانعكاسات الحادة التي يمكن أن تتمخض عن " الحضارة العالمية " على مختلف الثقافات والشعوب .

وفي سياق تراجعه عام 2006 عن مساندته لأفكار المحافظين الجدد، أعرب فوكوياما عن تغيير موقفه واعتراضه عليهم في قوله: " تطورت المحافظة الجديدة كمركز وفكر إلى شيء لم أعد قادراً على دعمه ". وأضاف أن إدارة بوش بالغت حسبه في تصوير التشدد الإسلامي على الولايات المتحدة كما أساءت تقدير ردود الفعل إذ جلبت مشاعر العدا للولايات المتحدة في العالم بأسره.

علماً أنه على الرغم من وجود بعض الاختلافات في أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، فإن استراتيجية الأمن القومي التي أعلنتها الإدارات الأمريكية المتعاقبة أكدت على وحدة رؤيتها وسعيها الدؤوب للتصدي لعودة منافسة القوى العظمى، خاصة بعد إدراكها أن هناك قوتين منافستين للقوة الأمريكية هما روسيا والصين، تسعيان إلى تعديل بنية النظام الدولي وتأسيس نظام عالمي جديد يهدد المصالح الحيوية الأمريكية ويقلص نفوذها مقابل توسيع نفوذها على الساحة الدولية.

تأسيساً على ذلك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقة من الأسس والمبادئ التي أقامت عليها قيادتها للعالم كالاستثنائية الأمريكية والقدر المحتوم لأمريكا في نشر قيمها الخالدة ونموذجها الليبرالي، حددت أهدافاً ثابتة

بثبات مصالحها الحيوية ومتغيرة بتغير المستجدات العالمية سعيًا منها لتكريس الهيمنة الأمريكية في عالم انتقل من الأحادية القطبية إلى التعددية القطبية.

2.3 نهاية التاريخ وعولمة الأنموذج الأمريكي:

منذ نهاية الحرب الباردة، سعت الولايات المتحدة إلى فرض كيانها على العالم تحت مبرر أنه لم يعد هناك إيديولوجية أخرى يمكن أن تصمد أمام الليبرالية الغربية، وهذا من خلال محاولتها لغزو العقل وتكييف القيم والسلوك وتنميط الأذواق والاستهلاك.²⁴

وعليه، مثّلت فكرة فوكوياما حول نهاية التاريخ - كنهاية للإيديولوجيا في العلاقات الدولية بعد اختيار الاتحاد السوفياتي سابقًا - نوعًا جديدًا من الهيمنة الإيديولوجية، وتخطيط⁽²⁵⁾ لما بعد الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي ولما بعد نهاية الحرب الباردة عبر بناء استراتيجية جديدة بإمكانها استيعاب التحولات الجديدة ومتغيرات "النظام الدولي الجديد".

وبذلك، فإن أهم غايات مقولة فوكوياما تتمثل في توسيع الأنموذج الأمريكي إلى العالم بأسره وهيمنة الحضارة الغربية وقيمتها ونمطها المعيشي والسعي للقضاء على الأنماط الحياتية للمجتمعات الأخرى وظهور نظام شامل جديد للمرجعيات يكون فيه الأنموذج الليبرالي الذي تمثله الولايات المتحدة المرجعية الأساسية الوحيدة،²⁶ بحيث تسعى بكافة السبل إلى فرض أنموذجها الحضاري في مختلف الميادين وعلى سائر الأصعدة، من خلال تشجيع التبادل التجاري الحر في إطار عولمة الاقتصاد وإعلاء من قيمة الفردية في إطار عولمة الثقافة، بالإضافة إلى رفع شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان في إطار العولمة السياسية.

قام فوكوياما في أطروحته لنهاية التاريخ، بالترويج من جهة لإخفاق الشيوعية وأن هذا الإخفاق وال فشل قد جعل الديمقراطية الليبرالية ونظامها الاقتصادي القائم على الأسواق الحرة هي الغالبة النهائية للبشرية. ومن جهة أخرى، يعمل فوكوياما على التأكيد على أنّ الحداثة التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الديمقراطيات الغربية المتطورة ستبقى القوة المسيطرة في المؤسسات الدولية التي تجسد مبادئ الغرب الأساسية في الحرية والمساواة والعدالة والتي ستتواصل في الانتشار عبر العالم لأنّ تفوق النظام الرأسمالي في صراعه ضد خصومه يثبت أنه الأكثر قوة ونجاعة والمجتمع الأمريكي هو التجسيد الأمثل لهذا النظام²⁷. على الرغم من أن بعض المحللين يؤكدون أنّ التاريخ لم يسجل انتصارات الليبرالية فحسب وإنما كذلك عاين إخفاقها في مراحل عديدة باعتبار أن الليبرالية إيديولوجية عدوانية وهمجية.

كما يعتقد فوكوياما أنه لم تعد هناك تحديات حقيقية قادرة على منافسة أو تحديد النظام الليبرالي بعد الانتصار الساحق الذي حققه على منافسته الأساسيتين الفاشية والشيوعية، لأنّ الأصوليات الدينية والتيارات القومية تحديان غير أساسيين قد يتسببان في إثارة بعض الاضطرابات لكن ينقصهما البعد العالمي²⁸.

ويركز فوكوياما كثيرًا على الدين الإسلامي بحيث أنه يعتقد أن ليس هناك منظومة دينية في العالم المعاصر تنافس النظام الليبرالي وتقدم نفسها كبديل عنه سوى الإسلام، لكنه على الرغم من ذلك فإن تأثيراته تبقى ضيقة وجاذبيته محدودة ولا تتجاوز دائرة العالم الإسلامي الذي سيكون على المدى البعيد أكثر استجابة وقبولاً للأفكار الليبرالية، لذلك فإن "الأصوليون الإسلاميون" كما يحلو له تسميتهم يرفضون بشدة التغلغل المتواصل للقيم الغربية ويقومون بمعارضة كل أشكال الاختراق الغربي للمجتمعات الإسلامية.

لذلك فإن المسلمين حسب فوكوياما يُظهرون مشاعر الكراهية ومظاهر التطرف والعنف بسبب ما يتميز به المجتمع الغربي من تفوق على مختلف المستويات ونفوذ متزايد مقارنة بما تعانيه وتشهده المجتمعات الإسلامية من ضعف وفشل ورجعية، ليصبح الصراع بين الديمقراطية الليبرالية و"الفاشية الإسلامية" حسبه هو صراع بين حضارتين إحداهما تفتقد إلى كل مقومات الصمود والبقاء في العالم المعاصر ومواكبة ركب الحضارة الجديدة والتكنولوجيا، وهي تمثل العالم الإسلامي المتخبط في سلسلة لا متناهية من الحروب والاضطرابات والفوضى وتقابله الحضارة الغربية ممثلة لعالم ديمقراطي ليبرالي مزدهر وآمن بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.²⁹

وعلى إثر أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، ازداد تأكيد فوكوياما على اعتبار الإسلام المنظومة الثقافية الوحيدة التي تعادي القيم الليبرالية إذ يعتبر في مقاله الموسوم بـ "هدفهم: العالم المعاصر- العدو الحقيقي: الإسلاميون الأصوليون" أن الصراع الرئيسي الذي تواجهه الولايات المتحدة هو الأصولية الإسلامية أو كما يسميها "الفاشية الإسلامية" أي العقيدة الأصولية غير المتسامحة التي تقف ضد الغرب وتعتبره مجتمعًا فاسدًا في أصوله.

الحقيقة إذن تكمن في سعي القوة الأمريكية قائدة الغرب لغزو العالم وإخضاعه عبر فرض هيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية رغم ادّعائها نشر الحضارة الإنسانية الجديدة، فما يشهده العالم من تعدد واختلاف في الثقافات ليس إلا مرحلة انتقالية لتوحيد الحضارة العالمية على الطراز الأمريكي لأن مصير ومستقبل المعمورة كلها سوف يفضي إلى الحضارة الأمريكية.

في نهاية المطاف، يشير العديد من المحللين إلى أن هذا ليس سيناريو "نهاية العالم" أو "نهاية التاريخ" الذي يروج له العديد من المنظرين أمثال فوكوياما ولكنه سيناريو مطروح ضمن آليات التغيير التي تهيئ لمطلع القرن الحادي والعشرين وعصر العولمة.

4. الخاتمة:

بعد سلسلة من المحاولات النظرية التي كان هاجسها الوحيد إبقاء القوة الأمريكية القوة العظمى المهيمنة والقادرة على وراثة النظام العالمي، جاءت مقولة فرانسيس فوكوياما لتؤكد أن انخيار الإيديولوجية الشيوعية ليست نهاية مرحلة تاريخية معينة وبداية أخرى تتسم بتفوق الثقافة الغربية فحسب وإنما تعبر عن "نهاية التاريخ" بمعنى نقطة النهاية للتطور الإيديولوجي للإنسانية وعولمة الديمقراطية الليبرالية الغربية كشكل نهائي للحكم البشري.

تأسيساً على ذلك، يمثل هذا المنظور منظومة فكرية وفلسفية تفسيرية للتاريخ والعلاقات الدولية، لأن أطروحته حول «نهاية التاريخ» عكست تنظير فوكوياما وتيار عريض من الليبراليين الأمريكيين بشكل خاص والغربيين بشكل عام لقوة أمريكية وغرب ليبرالي يقود دول المعمورة عبر الأنموذج وليس عبر الحرب ويتجه وجهة غير نزاعية. ذلك على العكس تماماً من أطروحة «صدام الحضارات» وقناعة صامويل هانتجتون وتيار الواقعية السياسية الذي تطور لاحقاً مع «المحافظين الجدد» والذي يؤمن بضرورة المحافظة على قوة أمريكية فائدة للعالم الحر وغرب على استعداد مستمر للدفاع بل والهجوم أيضاً على الحضارات الأخرى التي تسعى لمعاداة وهزيمة الغرب. حاولت مقولة فوكوياما أيضاً التأكيد على انتهاء التاريخ والتطور الإنساني بانتهاء الجدل الخاص بوجود النقيض التاريخي للأنموذج الرأسمالي بانطلاقها من مبررات وخلفيات فلسفية تعتقد بل وتجزم أن حركة التاريخ في تقدم مستمر نحو الأمام كي يتحقق فيها أرقى وأسمى أنموذج للتطور والنمو وهو الدولة الديمقراطية الليبرالية. وفي المقابل، فقد انطلقت مقولة هانتجتون من رؤيتها إلى الحضارات كبنى ثابتة لا تتغير مع التأكيد على أن العالم تقاسمه موجات حضارية متصادمة ومتناقضة باستمرار وبشكل متزايد.

على الرغم من اختلاف الأطروحتان لكنهما بلا ريب محاولتان محوريتان تكرسان الفكر البراغماتي للولايات المتحدة وقناة أساسية لتمرير خطابها السياسي ومخططاتها الاستراتيجية وللتحكم في كل الايديولوجيات التي لا تقبل الاندماج في الديمقراطية الليبرالية بل والعمل على لإسقاطها. لذلك فإن المنظران لا يتعارضان بشأن رؤيتهما للمسلمين كحالة استثنائية خارج العلم والتاريخ، باعتبار أنهم سواء عاجزين عن الانضواء تحت النظام المعاصر حسب فوكوياما أم أنهم مجرد مجموعة بشرية تميل إلى استخدام العنف بعضها مع بعض وكذلك مع الآخرين حسب هانتجتون.

على الرغم من كون فوكوياما من غلاة الغربيين لأنه انطلق من اعتقاده باحتكار الحضارة الغربية للعلم والقوة، فإنه يعمل كذلك في خدمة الاستراتيجية الأمريكية العالمية لصياغة دور استراتيجي جديد للولايات المتحدة وإعادة إثبات لدورها السیادي في العالم ونشر الأنموذج الليبرالي دون مراعاة لخصوصيات الأمم الأخرى، وفق معطيات الديمقراطية الليبرالية وحقوق الإنسان وغيرها من الحجج والشعارات التي مثلت الفكر البراغماتي الأمريكي خير تمثيل بتجلياته الجديدة وبما يتوافق مع مصالحها القومية ويستجيب للمتغيرات الدولية الحاصلة.

في نهاية هذه الدراسة، يمكن توصيف أطروحة " نهاية التاريخ " لفرانسيس لفوكوياما كإحدى الخلفيات النظرية الأساسية لرسم الاستراتيجية الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، إذ يؤكد فيها " أن العالم اليوم هو القوة الأمريكية وأن القوة الأمريكية هي العالم، فكل شيء أمريكي أو عليه أن يقتدي بالأنموذج الأمريكي، وذلك تطبيقاً لمبدأ "ما يصلح لأمريكا يصلح دائماً لكل دول العالم".

5. الهوامش:

¹ يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما أمريكي من أصول يابانية، ولد في 27 أكتوبر 1952 بمدينة شيكاغو الأمريكية، متحصل على دكتوراه من جامعة هارفارد في تخصص العلوم السياسية ثم عمل أستاذا للاقتصاد السياسي الدولي ومديراً لبرنامج التنمية الدولية بجامعة جونز هوبكنز، كما اشتغل في قسم العلوم السياسية بمؤسسة راند وفي هيئة تخطيط السياسات بوزارة الخارجية الأمريكية خلال فترة الثمانينات.

² - مجتبر قري، "العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات"، في / صناعة الكراهية في العلاقات العربية-الأمريكية، الطبعة الثانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 170.

³ - Dominique Plihon, "La Crise Des Subprimes : Une Crise Historique Du Capitalisme", **Problèmes économiques**, N 3085, (03/2014), P 62.

⁴ - من الكتب التي تعبر عن هذا الخطاب:

- Bertrand Badie, **La fin des territoires, l'espace du politique**, (Paris : Fayard, 1995).
- Kenichi Ohmae, **the End of the Nation – State: the Rise of Regional Economies**, (New York: Free Press, 1995).
- Jean Marie Guéhenno, **La fin de La Démocratie**, (Paris : Flammarion, 1993).
- Richard O Brien, **Global Financial Integration: The End of Geography**, (London: Printer Publishers, 1992).

⁵ - محسن مصطفى، "أطروحة "نهاية التربية في الخطاب العلمي الجديد: عناصر وملاحظات نقدية للتفكير والتساؤل"، في / العولمة والنظام الدولي الجديد، سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الأولى، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 2004)، ص 149.

⁶ - جورج قرم، شرق وغرب: الشرخ الأسطوري، ترجمة ماري طوق، (بيروت: دار الساقي، 2003)، ص 29.

⁷ - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص ص 96-97.

⁸ - Alain Gresh, "Insoumission", **Le Monde Diplomatique**, N° 618, (Septembre 2005), P 1.

⁹ - أحمد عبد الرزاق شكارا، "الفكر الاستراتيجي الأمريكي والشرق الأوسط في النظام الدولي الجديد"، في / العرب وتحديات النظام العالمي، الطبعة الثانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 191.

¹⁰ محمد إبراهيم منصور، "العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي"، **المستقبل العربي**، السنة 25، العدد 282، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، (أوت 2002)، ص 145.

¹¹ أنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، (مصر: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1998)، ص 22.

¹² جاسم محمد زكريا، مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر: دراسة تأصيلية تحليلية ناقدة في فلسفة القانون الدولي، (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2006)، ص 403.

¹³ تقوم فلسفة التاريخ عند فريدريك هيغل (Frederick Hegel)، (1770-1831) على أساس فكرة الديالكتيك أو الجدلية التي تنظر إلى العلاقة بين الحقب التاريخية المختلفة من منظور الصراع وأنه انطلاقاً من الأفكار غير كاملة وبصراعها من أجل البقاء تأتي الأفكار الهامة التي تتصف بالكمال.

¹⁴ Nicolas Gachon. **Le 11-septembre et la fin de la fin de l'Histoire. 20 ans après : retours sur le 11 septembre 2001**, (Laboratoire CAS, Université Toulouse Jean Jaurès, Octobre 2021, Toulouse, France).

¹⁵ أصبحت الأخلاق في المفهوم الغربي المعاصر ترتبط أكثر فأكثر بالمنفعة ذات الطبيعة المادية البحتة. ويستمد هذا المذهب النفعي أصوله من الفيلسوف الأثيني المادي أبيقور (342-270 ق م) الذي يعتبر أنّ الأخلاق هي تحقيق لأكبر قدر ممكن من اللذة والابتعاد عن الألم. ومن رائد المذهب النفعي جيرمي بنتام (1748-1832) الذي يؤمن بأنّ الفرد يتحرك بدافع المنفعة الذاتية وأنّ السعي لتحقيقها هو السبيل إلى تحقيق المصلحة العليا للمجتمع كله.

لمزيد من التفاصيل راجع:

-فاراس أشتي، **مدخل إلى العلم بالسياسة**، (لبنان: دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، 2000)، ص 85.
محمد نصر منها، **علوم السياسة: دراسة في الأصول والنظريات**، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2005)، ص 41.

جورج سعد، **تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى**، (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2000)، ص 120.
¹⁶ ارتكزت الحضارة الغربية على فلسفة الفيلسوف الإيطالي نيكولا ميكافيلي (Nicolas Machiavel) (1469-1527) كما جاءت في كتابه الأمير (1513) القائمة على القوة والفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية. وهذا ما أدى إلى تغليب مفهوم العلمانية على السياسة الغربية وتحزرها من أية قيود أخلاقية أو ضوابط قيمية مما جعل العملة تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية. كما أكد ميكافيلي على فكرة أنّ القوة ليست مجرد شرط لوجود الدولة بل هي ضرورة لديمومتها واستمرارها. وترجع أصول هذه الفكرة إلى السفسطائيين في العصر الإغريقي الذين لم يربطوا الدولة بالأخلاق والفضيلة لأنّ القوة هي الحق والقوانين يصوغها القوي ويفرضها على الناس، ولا وجود عندهم لشيء عادل بطبيعته فمقياس العدل هو المنفعة.

لمزيد من التفاصيل راجع:

عمار يوحوش، **تطور النظريات والأنظمة السياسية**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، ص 89.
¹⁷ أنظر: حسن حنفي وصادق جلال العظم، **ما العملة ؟**، الطبعة الثانية، (دمشق: دار الفكر، 2000)، ص ص 44-45.
¹⁸ إذا كانت نظرية التطور التي تحولت إلى ما يسمى بالداروينية (Le Darwinisme) تؤكد حقيقة أنّ التطور البيولوجي للأنواع الحية راجع لعملية الانتقاء الطبيعي الناتجة عن الصراع والتنافس من أجل الاستمرارية في الحياة باعتبار أنّ البقاء دائماً للأقوى أو للأصلح أو للقادر على التكيف مع الطبيعة فإنّ الداروينية الاجتماعية التي امتدت إلى مجال العلاقات الاجتماعية على يد الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر (1820-1903) تمثل ذلك الاتجاه الفكري الذي فسر نظرية التطور تفسيراً تعسفياً وحاول تطبيقها على الظواهر الاجتماعية والثقافية مُنْطَلِماً من الصراع كمحرك للتطور داخل المجتمعات الإنسانية. ومن ثمّ يصبح القضاء على الضعفاء أمراً طبيعياً والعناصر الأكثر قابلية للاستمرار هي تلك الأكثر قدرة على التنافس لأنّ تكوينها يحمل إيجابيات تدعم بقائها. ومن هذا المنطلق أصبح البقاء للأقوى أو للأكثر كفاءة في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

¹⁹ عند البحث عن الأصول النظرية للعملة كتجسيد للنظام الرأسمالي لابدّ من العودة إلى الأدبيات الليبرالية الأولى منذ آدم سميث (Adam Smith) -وجيمس ميل (James Mill) وجون ستيوارت ميل (John Stuart Mill) وصولاً إلى الأقطاب المعاصرة مثل جون راولس (John Rawls) إذ بدأ الفكر الرأسمالي يبالغ في مسألة تراكم رأس المال بشكل واسع وسريع ففكر في مسألة غزو العالم يشكل عام والشعوب الفقيرة المستضعفة بشكل خاص. لمزيد من التفاصيل راجع:

جواد كاظم حميد، *العملة الجذور التاريخية والبعد الاقتصادي*، (العراق: مؤسسة وارث الأنبياء الثقافية، 2008)، ص 18.

مصطفى بن تسمك، "العملة وتنامي خطاب الهوية"، في *العملة والنظام الدولي الجديد*، سلسلة كتب المستقبل العربي، (بيروت: مركز الوحدة العربية، ديسمبر 2004)، ص 141.

²⁰ - ممدوح محمود منصور، *العملة: دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد*، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2007)، ص ص 33-36.

²¹ عبد الله إبراهيم، *المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات*، (المغرب: المركز الثقافي العربي)، 1997، ص 173.

²² محمد عابد الجابري، *مسألة الهوية، العروبة والإسلام... والغرب*، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 118.

²³ جون ميرشماير، *مأساة سياسة القوى العظمى*، تر: مصطفى محمد قاسم، (المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، 2012)، ص 11.

²⁴ محمد عابد الجابري، *إشكاليات الفكر العربي المعاصر*، الطبعة الثالثة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994)، ص ص 147-175.

²⁵ يقصد بالتخطيط تحديد جملة من الأهداف المتناسقة المراد تحقيقها وفق أولويات معينة وخلال فترة زمنية محددة مع اختيار لمجموعة من الأدوات لتحويل هذه الأهداف إلى واقع ملموس. وبناء على ذلك يهدف التخطيط الاستراتيجي إلى تحقيق المصالح الاستراتيجية الوطنية على الساحة الدولية. لمزيد من التفاصيل راجع:

- الراوي مهند حميد، *عالم ما بعد القطبية الأحادية الأمريكية -دراسة في مستقبل النظام السياسي الدولي*، (مصر: المكتب العربي للمعارف، 2015)، ص ص 26-27.

²⁶ Alain Gresh, « Insoumission », *Le Monde Diplomatique*, N° 618, (Septembre 2005), P 1.

²⁷ إبراهيم محمود، "فلسفة "نهاية التاريخ" الأمريكية"، *المستقبل العربي*، العدد 164، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، (أكتوبر 1992)، ص 82.

²⁸ لمزيد من التفاصيل راجع:

محمد قدري سعيد، عبد المنعم سعيد، *الأفكار والأسرار*، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2002).

²⁹ Hal Brands, *American Grand Strategy and the Liberal Order Continuity, Change, and Options for the Future*, (Santa Monica, Calif : Rand Corporation, 2016), p21.